الحوار في شعر غازي القصيبي

د.مريم عبدالعزيز العيد

كلية التربية بشقراء، قسم اللغة العربية وآدابها،

جامعة شقراء

المستخلص:

يهدف هذا البحث المعنون بـ :(الحوار في شعر غازي القصيبي) إلى الكشف عن أفكار الشاعر والشخصية التي يحاورها سواء أكانت شخصية الشاعر ذاتها أو شخصية الآخر وهواجسهما وخلجاتهما النفسية الكامنة في النص الشعري، وذلك لأهميتهالخاصة في الشعر لما يحمل في طياته الكثير من الدلالات والجماليات التي قد لا تكون بذلك الوفرة في غير الشعر، وفضلاً عن ذلك فإنه يُعدُّ ظاهرة أسلوبيةتسهم في تقوية بنائية النص وتلاحم أجزائه، وتعزز من مستوياته الدلالية المتعددة تركيباً وإيقاعاً ودلالة،معتمداً في إبراز ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، وموضوعات الحوار الذي سيتناولها البحث بالدراسة والتحليل هي:

- الحوار مع الإنسان: (حوار الشاعر مع ذاته وحوار الشاعر مع الآخر).
- الحوار مع أشياء من الطبيعة الجامدة.
- الحوار مع المكان.

وقد خلص البحث إلى أن شعر غازي القصيبي اتسم بالروح الفردية والجماعية في آنٍ واحد في حواراته التي جاءت بكثافة في بنية نصوصه الشعرية؛ وبسبب ذلك فإن القارئ لشعره لا يشعر بالرتابة والملل.

- **الكلمات المفتاحية:**غازي القصيبي؛الحوار؛الشعر؛ الأسلوب.

مقدمة:

يعد الحوار في الشعر العربي عامة وشعر غازي القصيبي خاصة سمة فنيةوظاهرة أسلوبية تعزز من بنائية النص الشعري،وتزيد من قدرته على التعبير عن رؤى الشاعر أمام ذاته والواقع والمجتمع وإيصالها إلى الآخرين بأسلوبٍ يضفي على النص نوعاً من التشويق والحركة والحيوية والإقناع، إذ "ينزع فيه من أسلوب المتكلم المباشر، أي من الصوت الواحد إلى التعبير عن صورتين متقابلتين"[٤٨٤]، وهذا الأسلوب الحواري لا يتأتّى إلّا للشاعر ذي الموهبة الفذّة القادر على توظيف مفردات اللغة في سياقات حواريةتفصح عن رؤاهوتكشف عن عالم اللاوعي الخفي أمام المتلقي.

إن المتأمل في الموروث الشعري القديم يجده لا يخلو من استعمال هذه التقنية الحوارية، فقد عَرَفها الشعراء منذ العصر الجاهلي حيث جاءت في مستهل قصائدهم وفي ثناياها[٤٨٥]؛ لتؤكد أهميتها في بنية النص الشعري وتلاحم أجزائه وتضفي عليه رونقاً وبهاءً، ومن هنا "كانت السمة البارزة للشعر فيما مضى هو أنه شعر مخاطبة، أو حوار صراحة أو ضمناً. فالشعر القديم يتمثل في معظمه في حالة يرى فيها الشاعر يخاطب الآخرين..."[٤٨٦].ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لعنوان البحث؛ ولعل أبرز الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع دون غيره هو أنني لم أجد فيما اطلعتُ عليه من دراسات وأبحاث

(٤٨٤) الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي. السيد أحمد عمارة، طنطا، ط١، ١٩٩٣م، ص:ب.

(٤٨٥) ينظر مثلاً: معلقة امرئ القيس فقد استهلها بالحوار مع الآخر/ الصاحب الذي قد يكون حقيقة ناداه، وقد يكون وهميا أراد به نفسه المنكسرة الحزينة، ثم ما اتبع ذلك من حوار مع عدد من الشخصيات التي أحبها كعنيزة وفاطمة وغيرها. ومثله ما جاء في معلقة زهير بن أبي سلمى ومعلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الأعشى وغيرهم كثير.

(٤٨٦) الرحلة الثامنة- دراسات نقدية. جبرا إبراهيم جبرا، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، ١٩٦٧م، ص٤٦.

علمية عنواناً تناول الحوار في شعر غازي القصيبي على الرغم من كثرة الدراسات النقدية التي تناولت شعر القصيبي وأعماله الأدبية عامة بل وعُقدت ندوات علمية خاصة به وبأعماله الفنية وأُسس كرسي بحث باسمه في جامعة اليمامة بالرياض.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن تقسم إلى مقدمة وأربعة مباحث، هي:(الحوار مع الإنسان: وفيه تحدثتُ عن حوار الشاعر مع ذاته وحوار الشاعر مع الآخر. ثم الحوار مع أشياء من الطبيعة الجامدة، يليه الحوار مع المكان)، ثم بعد ذلك جاءت الخاتمة لتبرز أهم ما توصل إليه البحث، يليها ثبت بالمصادر والمراجع التي رجعت الباحثة إليها واستفادت منها.

وبعد: فإني أسأل الله تعالى من هذا العمل الذي قصدته صدق النوايا في كل ما أوردته، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الأول

الحوار مع الإنسان

يستخدم الشاعر غازي القصيبي في بعض نصوصه الشعرية الحوار أداة للإقناع والكشف عن الرؤى والواقع والمجتمع من خلال الحوار مع نفسه ويطلق عليه: (المونولوج)، والحوار مع الآخر على تعدد صوره: مناجاة الخالق، والأب، والزوجة والأبناء والأخوة والأصدقاء والزملاء في العمل، ويطلق عليه: (الدايالوج الخارجي) الذي يتماهى في الوقت ذاته مع الحوار الذاتي وكأنّ الشاعر يعبر عن ذاته من خلال إيجاد شخصية أخرى يحاورهافتفصح عن رؤاه أمام نفسه والمتلقي، ولذا فإن الحوار يعد وسيلة فنية

لها قيمتها الخاصة في تحقيق جماليات النص الشعري ودلالاته العميقة التي أراد الشاعر التعبير عنها بهذه التقنية الحوارية. وقد استخدم القصيبي هذه التقنية الحوارية مع ذاته والآخر في شعره بشكل لافت للنظر فتفتح للنص فضاءات متعددة تغري المتلقي بضرورة الولوج فيها وإبراز جماليات النص ودلالاته العميقة.

أ – حوار الشاعر مع ذاته:

يقصد بالحوار مع الذات محاورة الشاعر نفسَه نتيجة شعوره بالغربة النفسية والحزنتارةً أو بالحيرة والدهشة والانفعال والسخرية تجاه موقف معين مرّ به وظلّ يخامر عقله تارة أخرى، وهو حوار ينفرد به الشاعر مع ذاته دون أن يشاركه فيه أحد، "فيضع الذهن في حالة بثّ مستمرة واتصال مع أجزاء النفس خيالاً وذاكرة"[(٤٨٧)]، فيكشف عن أغوار شخصيته،مما يشكل داخل النص الأدبي"حالة من التواصل بين النص الأدبي والمتلقي، بما يثيره من دلالات تفتح أمام المتلقي آفاقاً رحبة يستطيع من خلالها الكشف عن الدلالات العميقة في بنية النص"[(٤٨٨)].

إن حوار الشاعر مع ذاته حورٌ ينطلق في الأساس "من الذات ويعود إليها مباشرة، فهو من هذه الناحية متكاملٌ مكتف بذاته، البطل فيه يتساءل ولا حاجة له في الجواب، إلا أن يجيء ذلك من تلقاء نفسه ومن الداخل أيضاً"[(٤٨٩)].

(٤٨٧) الحور في شعر البردوني، نوفل حمد الجبوري، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١١م، ص٧٨، نقلاً عن: الحوار في القصة العراقية القصيرة، فاتح عبدالسلام(رسالة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠م، ص٨٨٧
(٤٨٨)الحوار سمة فنية في شعر على بن الجهم. سالم محمد ذنون، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد: ١٢، العدد: ١، ٢٠٠٥م، ص١٩١.
(٤٨٩) قضايا الأدب العربي، عمر بن سالم وآخرون، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د.ط، ١٩٧٨م، ص١٢٥.

لقد عمد الشاعر القصيبي لهذه التقنية في شعره كثيراً؛ ليجسد من خلالها أحاسيسه ويعبّر عن موقفه تجاه الحياة والواقع، فيستخدم ألفاظ توحي بالمناجاة والتصريح العلني كـ: (قلت، وأسأل، أسائل، ناديت، أتأمّل...) وأيضاً استخدامه لضمير الغائب أو المتكلم أو المخاطب؛ لإخفاء شخصيته والتعبير عنها بشكل مختلف وأكثر موضوعية، فيقول في قصيدته: (ليلة الملتقى)[٤٩٠]:

تمرُّ الليالى ولا نلتقى
وينضب نبع الصّبا الريّق
وأحيا وحيداً
أناجى كآبة قلبى الشّقى

إن المتأمل في هذه الأبيات ليجد حتماً وفق أفق توقعاته أن الشاعر يحدِّث ذاتاً أخرى غير ذاته؛ ليبثها لوعته وأحزانه،الشخصية التي كان يعيش معها حياة الأمن والطمأنينة حياة الحب والوئام أيام الصّبا والفتوّة، غير أنه يجد عكس ذلك فالشاعر يخاطب ذاته المفعمة بالغربة النفسية إذ يفصح عن ذلك من خلال فاعلية الحوار المناجاة، بقوله: (أناجي كآبة قلبي الشّقي)، مما يجعل المتلقي يشاركه انفعالاته الحزينة على فراقه لمن يحب فهو يعيش حياة الوحدة وعدم اللقاء يناجي الكآبة والحزن الدفين المهيمن على قلبه. ولأنه حتماً ينظر للمستقبل برؤية استشرافيةولا يظل منعزلاً واقفاً عند نقطة محددة في الحياة قد تكون تلك النقطة أقلقت حياته وجعلت من ذاته شخصية تعاني الانكسار والغربة فنراه

(٤٩٠) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، مطبوعات تهامة، جدة، ط٢، ١٩٨٧م، ص٢٠.

يصرح بلفظ الإرادة الطموحة إلى العليا مخاطباً ذاته في قصيدته المعنونة بـ: (أريد)[٤٩١]:

أُريدُ أن أمضى بعيداً بعيدْ
خلف الغيوم البيض.. خلفَ النجوم
أريد أن أجتاز هذى الحدود
أريد أن أنسى الدّنى..أن أهيم
لأين؟ لا أدرى ولكنى
أريد أن أمضى بعيداً بعيد
أريد أن أرحل نحو الأمل

إن استعمال الشاعر لصيغة الفعل المضارع (أريدُ) توحي بالعزيمة القوية والإرادة الصادقة النابعة من وجدانه في التغيير إلى الأفضل لذاته وللواقع والحياة التي يعيشها، فتكراره للفعل (أريد) فيه إصرارٌ على تحقيق الآمال والتطلعات التي تراود ذهنه وتخامر عقله دوماً دون أن يحدد الجهة التي يريد الرحيل إليها مكتفياً بالإشارة إليها بقوله: (بعيداً بعيد، خلف الغيوم البيض، خلف النجوم،أريد أن أرحل نحو الأمل)، وهو بهذه الصيغة يخلق حواراً داخلياً مع ذاته، فيسأل نفسه: إلى أين؟ ويجيب بـ: لا أدري، ولكننهيريد أن يمضي بعيداً وأن يرحل نحو الأمل؛ ليعكس للمتلقي مدى اهتمامه وحرصه على تحقيق الأمنيات التي تنسيه الدني فيهيم في رحلته التي لا يعلم لهانهاية غير الأمل وحده فقط.

(٤٩١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص٦٨، ٦٩.

وعليه فإن الشاعر يكشف من خلال استعماله للحوار الداخلي الممتد على مساحة النص برمته عن طبيعة الصراع القائم بين الشاعر وذاته تجاه الواقع الذي يعيش فيه ورغباته وتطلعاته المستقبلية في نسق درامي حواري مما أدى هذا الحوار إلى تنامي الحدث وتطويره والإفصاح عن الحالة الشعورية لدى الشاعروعن الرؤى والآمال التي يطمح إلى تحقيقها، فيتساءل مع ذاته بأسلوبٍ حواريفي قصيدته (خذني إليك)(٤٩٢):

لماذا أعيشُ

لماذا أودّع يوماً وأرقب يوماً

ويدفن عامٌ ويولد عامٌ

وما فى الحياة جديد

تمرّ علىّ الليالى مكفنة بوجوم عميق

تراقص فيها ظلال الملل

سجونٌ مغلفةٌ بالأسى

تسمّى حياةٌ.

إنه في هذه الأبيات يرفض الحياة والواقع الذي يراه سجناً مغلفاً بالأسى، لا قيمة له من وجهة نظره ولعل مرد ذلك إلى طبيعة حالته النفسية غير المستقرة حتى أنه يرى الليالي ثقيلة عليه فلا تكاد تمرّ عليه إلا وهي مثقلة بوجوم عميق، فتتراقص فيها ظلال الملل، وهذا التعبير يفصح عن عمق المعاناة والأسى والغربة والانكسار النفسي لدى الشاعر مما يجعل القارئ ينتقل

(٤٩٢) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص٢٠٦، ٢٠٧

ليستذكر موقف امرئ القيس مع الليل ومعاناته في حين يعبر عنها في معلقته بقوله[٤٩٣]:

وليل كموج البحر أرخى سدوله   علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فالشاعران هنا يلتقيان في حوارهما الشعري في التعبير عن معاناتهماالنفسية، فأمرؤ القيس همومه وقسوتها بسبب قتل والده ورغبته في الإسراع بأخذ الثأر جعلته يرى الليل طويلاً وثقيلاً عليه، وشاعرنا القصيبي يعاني الانكسار النفسي من رؤيته للحياة التي لا جديد فيها ولا تغيير فيها نحو الأفضل، ولهذا يسأل نفسه: لماذا أعيش؟ ولماذا أودّع يوماً وأرقب يوماً؟ ولماذا يدفن عامٌ ويولد عامٌ؟ وهو بهذا الانكسار النفسي يرى أن الليالي تمرّ عليه مكفنة بوجوم عميق يتراقص فيها ظلال الملل، ومن تلك الظلال السجون المغلفة بالأسى التي تسمى حياة إنه بهذا التعبير يصلُ إلى قمة الإبداع الشعري في التعبير عن الواقع المرير الذي يعيشه المواطن العربي باحثاً عن واحاتٍ في الخيال، ولاهثاً خلف سرابٍ من الأمنيات من دون أن يعرف ماذا يريد، مما يضطره إلى أن يسأل رفقائه عن ماذا يريد، فيجيبونه بإجابات متعددة كلٌّ يعبر عما ينقصه أو يراه مناسبا لحياته الدنيوية وللتخفيف من معاناته النفسية فذاك يقول له: (أريد السعادة)، وأخر يقول له: (أنا أبغي الثراء وقصراً ينام بحضن السماء)، وثالث يقول له:(أنا أبغي الرغيف ففي البيت طفلي يكاد يموت)، ورابع يقول له: (أريد النساء)، مما يجعل الشاعر يعود بعد هذه الإجابات حاملاً عبء الغباء المهيمن على عقلية من أجابوه فيناجي الله أن يأخذه إليه فالحياة ضاقت عليه فهو يخاف أن يُصبح كغيره وحشاً يحبُّ الدماء ويغمد خنجره في الظهور ليحظى بأمنية سافلة.

(٤٩٣) ديوان أمرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٥، القاهرة، د.ت، ص١٨

وعند شعوره بالكبر وإحساسهالعميق بالحياة التي أزفت على الغروب، رأى أن يقف مع ذاته بطريقة خاصة يحاورها بأسلوب أدبي يشبه أسلوب الزُّهاد،فيرثي نفسه في قصيدته(حديقة الغروب) قائلاً(٤٩٤):

خمس وستون فى أجفان **أما سئمت ارتحالاً أيها**
أما مللتَ من الأسفار.. **إلا وألقتك فى وعثاءِ**
أما تعبت من الأعداء ما **يحاورونك بالكبريت**

تنشأ الحوارية في هذين البيتين مع الذات، فيتعجب الشاعر من الحياة التي قضى فيها مرتحلاً نحو ملذاتها خمس وستين عاماً يبحث عن كل جديد فيه منفعة للمجتمع، فيوجه عتاباً لذاته بصيغ الاستفهام (خمسٌ وستون في أجفان إعصار؟ أما سئمت ارتحالاً أيها الساري؟ أما مللت من الأسفار...؟ أما تعبت من الأعداء ما برحوا...)،والذي بنى بها حواريته مع ذاته، وهو بذلك لا يريد منه جواباً بقدر ما يريد منه التعجب من الدنيا وملذاتها والسفر فيها وما واجهه من وعثاء ومشقة، ففي هذه الأبيات الحوارية نلحظ التجربة الشعورية التي يعكس من خلالها للمتلقي صدق الإحساس وعمق العاطفة معبراً عن ذلكبلغة شعرية قويةاستطاع من خلالها أن يحلّق بها بقدرة فائقة في عالم الموضوعيـةمسائلاً نفسه عن مشوار حياته وعمره فيما أمضاه، ومجيباً عن تساؤلاته بقوله(٤٩٥):

بلى اكتفيت وأضنانى **قلبى العناء!.. ولكن تلك**

(٤٩٤) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٧م، ص١٣
(٤٩٥) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي،ص١٣

إنه بهذا البيت هنا يفصح عن خلاصة تجربته في الحياة، وما لاقاه فيها من الحياة الذي كتبه الله له في هذه الحياة الفانية، ثم إن الحوار الداخلي في الأبيات السابقة يكشف لنا عن حالة الشاعر النفسية فهو يعاني صراعاً داخلياً، صراع بين فكر وفكر، وكأنه بهذا فاقدٌ لذاته فيحاول أن يثبتها بهذا الحوار الذي "يعبر عن أكثر الأفكار خفاءً"[٤٩٦] أفكار الشاعر التي تدور في ذهنه، وبذلك فإن الحوار عند الشاعر القصيبي يؤدي دور البوح والتطهير والكشف من الأعماق عن أساه وخلوّ حاضرة من البهجة والسرور.

ب - حوار الشاعر مع الآخر:

وهو حوار يشترك فيه الشاعر مع طرف آخر يحاوره، ويقصد بالآخر هناالأهل والأقارب، والأصدقاء والأصحاب والأحبة وغيرهم، فتارة نجد الإجابة من الطرف الأخر، وتارة ينفرد الشاعر بمخاطبته دون إجابة منه تاركاً ذلك للمتلقي في إمعان النظر وتحليل الشخصية والكشف عن هويتها، وذلك من خلال استخدامه لآليات الحوار الواضحة:(قال- قلتُ- قولي- لا تقولي- يقولون- قالوا- قلنا- تعالي- سألت- سألتها. ألا تسألي-سألوها-سألنا عنك- أجابَ- هتفوا- هل تذكرين- هل تستطيعين- همسَتْ- أتفهمين- أبي ألا تصحبنا، نعم...ألخ) وقد شاع هذا النوع من الحوار في شعره بنسبة عالية جداً مما يدلل على قدرة الشاعر غازي القصيبي على تطويع اللغة الحوارية خدمة لنتاجه الشعري، فضلاً عن نزوعه نحو الأسلوب السردي وهذا ليس غريباً عليه فهو الأكاديمي والشاعر والروائي والأديب الفذ والسياسي المحنك.

(٤٩٦)القصة السيكولوجية- دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة، ليون أيدل، ترجمة: محمود السمرة، منشورات المكتبة الأهلية، د.ط، بيروت، د.ت، ص١١٦

لقد استخدم القصيبي تقنية الحوار في شعره وجعلها سمة فنية لها قيمتها الجمالية في نصوصه الشعرية فنراه يحاور أباهالذي فارقهوذلك من خلال فلسفة خاصة وحوارية تنمّ عن شاعر يعاني مرارة الفقد وحرقة الفؤاد إذ يقولفي قصيدته الرثائية(أبي)[٤٩٧]:

وفى لحظة يا أبى وصديقى	**فقدتك..عدت يتيماً صغيراً**
يغالب بين الجموع الدموع	**ولا يستطيع فيبكى كثيراً**
وأنت هناك فوق الرقاب	**تلوح كعهدى كبيراً كبيراً**
أنادى فيهتزّ رجع النداء	**وجوماً كئيباً وصمتاً مريرا**
لجأت إلى الدمع..حتى تخيلت	**أنك ناديت:(كُنْ بى جديراً)**

نرى الشاعر يقف في حواره مع والده الذي فارقة وقفة طويلة، إذ يمتد السياق على مجمل مساحة الأبيات الخمسة، وهذا الامتداد يعكس الحالة الشعورية لدى الشاعر، حيث ينادي أباه فلا يسمع إلا صدىً وصمتاً مريرا، لكنه يكتفي باستحضار من يحاوره من خلال عنصر التخييل بأنه ناداه بقوله:(كن بي جديراً)، فيكشف للمتلقي عمق الأثر والفجيعة والحزن الدفين الذي يخامره دوما حين يتذكر والده، وهو بهذا الاستحضار للشخصية التي يحاورها يريد أن يخلق في نفسه نوعاً من الثقة بذاته، إذ يرى نفسه يتيماً صغيراً لا يستطيع أن يفعل شيئا، غير أنه بتخيله الشخصية الأخرى وتوجيهها له بقولها(كن بي جديراً) قد بث روح الحياة في ذاته فهو يحمل اسم والديه وعليه أن يكون بهذا الاسم واللقب جديرا بهما لا يخاف ولا يتوانى عن فعل شيء فيه منفعة للآخرين.

(٤٩٧) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص

ويقف القصيبي في قصيدته الرثائية(أماه) منكسر الخاطر، مجروح الفؤاد، حزيناً لفراق أمه -التي لم يرها قط فقد توفت وهو في الشهر التاسع، وقيل أنها في رثاء جدته التي توفت وهو في عمر الخامسة والعشرين- ويؤكد على ذلك حرف المد (الألف) في لفظة (أماه)، وهاء السكت التي كأنها آهة الحزن المنبعثة من القلب الجريح، فيحاورها بلغة تفصح عن حالته النفسية الحزينة وبأن حياته من دونها أصبحت لا شيء، إذ يقول(٤٩٨):

هذى القصيدة يا حبيبة فى ... حنينى... لا رثائك
فأنا أُحِسُّك رغم رحلتك ... البعيدة فى فنائكْ
رمضان يا أماه أغبرُ ... ما توضأ من إنائكْ
وصباحه قلبٌ تحجر ... حين أقفر من دعائكِ
ومساؤه قلبٌ تحطم.. ... حين حنّ إلى مسائكِ
والعيد يا أماه يعثر ... بالغبار على حذائك
ويكاد من خجل يفرُّ إذا ... أطلَّ على فنائك
أماه ! كيف الموت؟! هل ... أرخى الستار على عنائكِ؟

إنها لغة الشعر المفعمة بالحزن الدفين، فالحوار قائم بين الشاعر والطرف الأخر المخاطَب الذي غاب في النص الشعري ردّه مما شكّل هذا الغياب حالة درامية عززت الفكرة التي أراد الشاعر التعبير عنها، وزادت من درامية النص الشعري.

وحين يفتقد أخيه عادل يرثيه بأبلغ الكلمات فيحاوره وكأنه يجلس بجانبه يستمع لما يقوله له؛ وما ذلك إلا لأنه يرى أن أخاه لم يمت فذكراه وخلاله

(٤٩٨) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص ٢٨٢

الحميدة باقية في مخيلته ترافقه أينما كان مما جعله يخاطبه بأسلوب النداء المحذوف الأداة؛ للدلالة على القرب، يقول(٤٩٩):

أخى ! رُبَّ جُرح فى الأضالع لا أعانقه.. والليل يمطرنى سُهدا
وأستصرخ الذكرى فتسكب ويا طالما استقيت من نبعها
أخى! لست أدرى أىَّ سهمى غيابك.. أم أنى بقيت هنا فردا

يكمن أسلوب الحوار من خلال أسلوب النداء الذي هو خطاب بين شخصين يتراوح بين منادٍ، أي مخاطِب، ومنادَى أي مخاطَب، لكنه هنا حَمَلَ دلالة البوح عمّا يختلج في ذات الشاعر من خلال مخاطبته أخيه عادل الذي فارقه، فكشف عن حالته المفعمة بالحزن العميق، وإذا ما تأمل القارئ في مفردات النص الحواري يجد أنها تحمل في طياتها معادلاً موضوعياً؛ للدلالة على تأزم الحالة النفسية للذات فهو لا يعلم يقيناً أي سهمٍ قتله؛ هل فراق أخيه أم بقائه وحيداً من دونه.

ثم يمطرنا الشاعر في المقطع الثاني من القصيدة ذاتها بزخاتٍ من التساؤلات علّها تسقي ظمأه لكنه يعلم أنّ لا مجيب له، حيث يقول(٥٠٠):

أعادل ! هل حقًّا تركتك فى وأهديت هذا القبر أنفس ما
وهل عدتُ حقا للديار التى خلت وفيّا لدنيـاى التى تخفر العهدا؟
كـأن الشباب الحلو ما كان بيننا يهب كأنفاس الخمائل ..أو أندى؟

يُلحظ على هذه الأبيات أن الحوار قد تشكّل فيها على شكل تساؤلات حزينة يستلهم من خلالها الشاعر شخصية أخاه الميّت وكأنه موجودحاضرٌ

(٤٩٩) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٤٧، ٤٨
(٥٠٠) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٤٨

أمامه يبادله أحزانه ويشاطره همومه، إذ تدور هذه التساؤلات حول ذكريات الماضي الجميلأيام الشباب الحلوة التي جمعته بأخيه؛مما أعطت الأبيات الشعريةنغماً استفهامياًمنسجماً مع حالته النفسية، ومكنته من استحضار الشخص الذي يحاوره.

وعلى المنوال نفسه يعقد حواريته مع أخته (حياة) الذي فارقته هي أيضا، ويناديها بلفظ: (أختاه) اللفظ الذي يحمل شحناتٍ عاطفية فيه من الآهات ما فيه حزناً وألماً، إذ يقول(٥٠١):

أختاه!

وجهك باردٌ

وأنا أقبله.. وتلسعني الدِّموعُ..

ويرجع الطفل المبعثر في السنين

يعانق الكهل اليتيم

نمشي أنا والطفل نبحث عن

صباي وعن صباك فلا

أرى غير الهشيم.

إن عمدة الحوار في هذه الأبيات هو أسلوب النداء المحذوف أداته(أختاه)؛ الذي يوحي بعمق الفجيعة وشدة ألم الفراق؛ فيحكي لها موقفه معها عند وفاتها أثناء تقبيله إياها وشعوره ببرودة وجهها الذي لا حركة فيه ولا حرارة، ثم تصوير ما ذرفته عيناه من الدموع ولسعها وجهه نتيجة حرارة هذه الدموع لفراقها، فيعود بذاكرته أيام طفولته ومعانقة هذه الطفولة للكهولة الباحثة عن

(٥٠١) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٣٥

الصبا، صبا الشاعر وصبا أخته رغبة منه في استرجاع ماضيه وأيام اللهو الطفولة التي قضاها مع أخته في مرح وتسلية، فلم يجد غير هشيمٍ وسرابٍ أمام عينيه، فهو بذلك محطم القوى والأفكار والرؤى. وبهذا فقد خلق لنا الشاعر في هذه البنية الشعرية الحوارية صورة كلية تعكس رؤاه وحالته الشعورية أمام المصاب الذي اعتراه.

ويعقد في قصيدته (يارا والرحيل) حواراً بينه وبين ابنته (يارا) فتأتي القصيدة على لسان شاعرنا القصيبي تجربة حيّة ناطقة بحوارٍ دافئ بين فتاةٍ وأبيها، فتاةٌ شغوفةٍ بحب أبيها لا تريده أن يفارقها لحظة واحدة مما يجعلها تشتاق دوماً لمصاحبته، وسنورد القصيدة برمتها لجمال ألفاظها ورقتها ولعذوبة معانيها، يقول(٥٠٢):

"أبى! ألا تصحبنا؟ إننى	أود أن تصحبنا... يا أبى"!
وانطلقت من فمها آهة	حطت على الجرح.. و لم تذهب
وأومضت فى عينها دمعة	مالت على الخد.. و لم تسكب
و عاتبتنى-كبرت دميتى -	و هى التى من قبل لم تعتب
"أهكذا تهجرنا يا أبى	لزحمة الشغل و للمكتب؟"
يا أجمل الحلوات.. يا واحتى	عبر صحارى الظمأ الملهب
أبوك مذ أظلم فجر النوى	يعيش بين الصل و العقرب
يضحك.. لو تدرين كم ضحكة	تنبع من قلب الأسى المتعب
يلعب.. والأحزان فى نفسه	كحشرجات الموت لم تلعب
يود-لولا الكبر-لو أنه	أجهش لما غبت... لا تذهبى!

(٥٠٢) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص ٦٠٨

يا أجمل الحلوات.. يا فرحتى يا نشوتى الخضراء.. يا كوكبى
أبوك فى المكتب لما يزل يهفو إلى الطيب والأطيب
يصنع حلما: خير أحلامه أن يسعد الأطفال فى الملعب
من أجل يارا ورفيقاتها أولع بالشغل... فلا تغضبى

تمتاز القصيدة بلغة شعرية عذبة وبألفاظ رقيقة توحي برقة الشاعر وحنانه تجاه فلذة كبده (يارا) الفتاة الشغوفة المولعة بحب أبيها؛ وإضافة إلى هذه العذوبة الرقراقة في القصيدة فقد اختار القصيبي تقنية الحوار بينه وبين ابنته مبتدأ ذلك بنداء ابنته له (أبي) نداءٌ فيه إثارة للمشاعر الأبوية، فيه شوقٌ وحنان، شوق الأبناء لصحبة أبيهم وعدم رغبتهم في فراقه ولو لساعة واحدة، ثم تلحق هذا النداء بصيغة التودد علّه أن يتراجع عن قرار الذهاب للعمل، ومعاتبةًإياه بقولها:(كبرت دميتي)، ومقرنة ذلك بصيغة الاستفهام: (أهكذا تهجرنا يا أبي... لزحمة الشغل والمكتب)؛ وكأنها تريد أن تشعره بأنها لم تعد طفلة فقد أصبحت فتاة تشعر بالمسؤولية وتعي الأشياء من حولها؛ ولهذا فقد جاء العتاب منها بلغة فيها نوعٌ من الرقة والشفافية والتأدّب، فيأتي الردّ من الأب باعتذارٍ رقيق مستخدماً أسلوبالتلطف والتحبب مع ابنته(يا أجمل الحلوات.. يا واحتي-يا أجمل الحلوات.. يا فرحتي - يا نشوتي الخضراء.. يا كوكبي)، ثم يبرر لها بعد ذلك سبب فراقه له وأن ذهابه للعمل هو من أجل يارا ورفيقاتها، من أجل المستقبل الواعد بالعطاء والأمنيات وبالحرية والتقدم والرقي والازدهار.

واستخدم القصيبي الحوار في رثائه لصديقه يوسف الشيراوي فيختار جلسة سمر حميمية تجمعه بالراحل ليستجلي منه أسرار الموت، حيث يقول[٥٠٣]:

أقبل الليل.. ذاك ركنك.. نتسامر! ليل الشتاء طويلُ
"كيف كان اللقاءُ بالموتِ؟ أكَمَا يحتوى الخليلَ.. خليلُ؟
أمليحٌ هذا الردى.. أم ومريرٌ.. أم طعمُهُ معسولُ؟
أتلقاكَ واجماً.. أمْ تلقاكَ وضجَّ الترحيبُ.. والتأهيلُ؟
قُلْتَ لى باسماً.. لدىّ والتفاصيلُ، يا صديقى،
إلْفُ هذا الهواءِ أوقعَ فى الأنفس أن الحمامَ شرٌّ وبيلُ
دعْ حديث الردى.. فإنّى واعطنى غيرَه.. فإنّى

والحوار هنا في هذه الأبيات وما بعدها يمضي غريباً حميما موغلاً في البساطة بين الشاعر وصديقة الراحل، إذ يفضل الشاعر ألّا يغير الموت عادةً ألفاها معاً وهي الحوار الحميم[٥٠٤]، وذلك من خلال استخدامه الأفعال (اجلس- نتسامر- قل لي- أتلقاكَ- قُلْتَ- دعْ- واعطني...) التي يبث من خلالها نظرته الثاقبة لما حوله ويفصح عن أفكاره وأفكار الشخصية المتحاورة معه فيعكس بذلك أبعادا دلالية لها تأثير خاص في نفسية المتلقي.

وتنبثق الحوارية الشعرية في شعر القصيبي أيضاً حين يستحضر صديقة أبا بندر فيرثيه بقصيدة عنوانها (سلاماً.. يا أبا بندر)، يقول[٥٠٥]:

---

(٥٠٣) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص١٣
(٥٠٤)ينظر: حميمية الموت في شعر الرثاء عند غازي القصيبي، هيلة بنت عبدالله عثمان، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، المجلد التاسع، العدد: (١)، أكتوبر ٢٠١٥م، ص٢٠٤.
(٥٠٥) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص ٧٩٣

سلاماً يا أبا بندر

كعرف الشيخ.. والقيصوم والعرعر

كعطر الليل فى نجدِ
كما يتنفس العنبر

مضى يومٌ.. مضى يومان أو أكثر
ولم تظهر

أتعرف أننا اشتقنا؟!

سألنا عنك في الديوان.

في البر .. وفي "المعذر"

فقالوا: "لم يجئنا اليوم.."

قالوا: "إنه أبحر.."

أتعرف أننا اشتقنا؟!

أتعرف أن غيث الحزن

في الأجفان قد أمطر

فأنبت في حنايا الروح

ما أضنى.. وما أسهر

وأينك.. يا أبا بندر؟

إن المتأمل في هذه الأبيات الشعرية يجد أن الشاعر يحاور شخصية أبا بندر، وهي الشخصية المركزية التي هي السبب الرئيس في نظم قصيدته المفعمة بالحزن على فراقه، ثم تتداخل شخصيات عدة في ثنايا السياق الشعري وذلك حين يُلح الشاعر في حواره مع أبي بندر وكأنه حاضرٌ أمامه من دون أن

يجيب؛ فيجيبون أشخاصٌ لم يسميهم مكتفياً بالإشارة إليهم بـ: (فقالوا:"لم يجئنا اليوم.."قالوا: "إنه أبحر.."")، وهو بهذا يثبت للمتلقي اختلاف الرؤى والأصوات التي أعطت للنص حافزاً مثيراً للوصول إلى ما يريد أن يفصح عنه من حقيقة الأمر، ولذا نلحظه يكرر التركيب اللغوي (أتعرف أننا اشتقنا) مرتين، وذلك ليكشف للمتلقي عميق الأثر والحزن الدفين الذي تركه أبا بندر في نفوس محبيه معبراً عن ذلك بقوله:(أتعرف أن غيث الحزن في الأجفان قد أمطر)، إنها لغة الشعر المفعمة بالصور الفنية ذات الإيحاءات المكثفة، والإيقاعات الخاصة المنسجمة مع عنوان القصيدة ذاتها ودلالاتها أيضا.

ويأتي الشاعر بالحوار ليعبّر من خلاله عن الوضع الاجتماعي، وحالة بعض الناس مَن يعانون من قسوة الأيام وصروفها فتجبرهم على الرحيل وفراقهم لمن يحبون، إذ يقول في قصيدته: (قافلة الضائعين)[(٥٠٦)]:

وفي الفجر أقبل نحوي غريب
يردد: "أهلاً بهذا الرفيق!"

وقلّبتُ عينى فأبصرتُ فيه
هزال الخريف وذلّ المساء

مضى يومٌ.. مضى يومان أو أكثر
وكان سؤالٌ
وكان سؤالٌ طويلٌ وقال:
"أنا ياصديق من الضائعين
هجرتُ المدينة

(٥٠٦) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص ٧٤، ٧٥

وأقبلتُ أدفن بين الدروب

بقايا الليالي الحزينة

فقد كان لي في رحاب المدينة

حياةٌ وبيتٌ وطفلٌ صغير

وذات مساءٍ أتتنا الرياح

وسارت ببيتي وطفلي الصغير"

يعبر الشاعر القصيبي في قصيدته هذه عن قضية اجتماعية عامة وهي الاغتراب والهجرة من مكان لآخر بحثاً عن لقمة العيش، بسبب ظروف خاصة طبيعية أو غير طبيعية، وهذه القضية قد تلحق ببعض الناس في أي مجتمع كان، فيأتي الحواربين الشاعر والأخر في صورة تتابعٍ سردي محكم، يفصح عن قصة رجل غريب ترك منزله وهاجر بحثاً عن مكانٍ يأويه ويسد رمقه، ويجد حياته فيه؛ بسبب قسوة الأيام ونوائبها وما أحدثته عوامل الطبيعة كالرياح من خراب وهدم لبيته أدى ذلك إلى وفاة طفله الصغير، وبعد أن سرد الغريب قصته يرق قلب الشاعر له وذلك لما بينهما من تشابه في الموقف، حيث يقول(٥٠٧):

وطالعته في حنان الحبيب

وقلتُ: "يدي يا أخي في يديك

فقد كان لى خلف باب المدينة

قلبٌ وليد

وذات مساءِ طواه الردى

فأصبحتُ من غير قلبٍ أسير

(٥٠٧) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص ٧٥

فهيا معي".

ثم يتابع الشاعر أحداث القصة بلغة سردية مشوقة، ويخبر المتلقي عما دار بينه وبين الغريب بعد أن سارا معاً، فيسترجعا أيامهما الجميلة ليبعدا عن نفسيهما معاناة الغربة والفراق وغير ذلك،إذ يقول:

وسرنا معاً

وحدثني عن أماسي الحنين

وعن بيته وكروم العنب

وما في الحديقة من ياسمين

وكيف يطلّ عليها القمر

وحدثته عن زمان الصغر

وعن إخوتي.. وليالي السمر

وكيف طوت كل هذا المدينة.

ويظل الحوار بينهما حتى الظهيرة كلٌ يبث للأخر ذكرياته الجميلة، وما أن يشعران بالراحة النفسية للحظة إلّاويسمعان فجأة خطوات مقبلة نحوهما فيتفاجؤون بجمع غفير من الضائعين يسبون ليل المدينة، فينضمون إلى القافلة التي أسماها (قافلة الضائعين) كلٌّ يبث آهاته وأحزانه.

المطلب الثاني :الحوار مع أشياء من الطبيعة الجامدة

لم يكن الحوار مع أشياءٍ من الطبيعة الجامدة بغريبٍ على الشعراء منذ القدم فقد خاطبوا الرياحوالنجوم والقمر والشجر والحجر والورد والمرآةوالبحر والسجن وغير ذلك، والقصيبي في حواراته مع مفردات الطبيعة وأشيائها يبرز للمتلقي قدرته على شخصنة الأشياء في سياقاته الشعرية وبث الحركة والحياة

فيها؛ وذلك لكونها أداة فاعلة لإبراز أفكاره وعواطفه لدى المتلقي، ففي قصيدته (أرقٌ) يقيم حواراً مع النجوم فيقول[٥٠٨]:

ظلام الليل مقبرةٌ حوت جثَّة أحلامى
وهذى الأنجم الحيرى تَعدُّ علىَّ أيامى
وتهتف بى: "أضعت فى تقديس أوهامى"
وتصرخ: "أين تمضى والدُّجى ينبوع آلامى
وحيداً دونما أحدِ يواسى جرحك الدَّامى"

أن المتأمل لهذه الأبيات يجد نفسه أمام شاعرٍ محبطٌ نفسياً لا يدري أين تقف به السُّبل، وهذا الإحباط النفسي تأتّى له بسبب عدم تحقيق ما كان يصبو إليه من تغيير الواقع العربي وتحقيق أمنياته وأحلامه بل وأمنيات المواطن العربي عامة التي تلاشت وأصبحت من الخيال أو المحال تحقيقها، ولذا فقد أفصح عن هذا بقوله: (ظلام الليل مقبرة حوت جثة أحلامي)، ولشدة آلامه وحزنه فهو لا ينام مما جعل النجوم حيرى معه تعدّ أيامه يوما تلو يوم، حتى أنها تشفق عليه فتخاطبه بأنه قد أضاع عمره في تقديس الأوهام، وتصرخ عليه مسائلةً إيّاه: أين تمضي؟ فأنت وحيداً لا يوجد أحد يواسي جراحك الدامية، وذلك فقد كان توظيفه للأنجم الحيرى وإقامة الحوار معها توظيفاً واعياً وعن قصدٍ،فهي صورة رامزة إلى الكآبة والحزن والألم الدفين وعدم الاستقرار وتحقيق الأمنيات التي يعاني منها الشاعر، وبهذا التوظيف والحوارية استطاع الشاعر بوعيّ أن يفصح عن خلجات نفسه تجاه الواقع.

---

(٥٠٨) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص١٠٠.

تتعدد الرؤى وتتقارب الخُطى وتتفق الأقلام حين يعبر الشاعر عن صدق المشاعر والعواطفتجاه موقفٍ ما، فها هو القصيبي حين قامت الفتاة اللبنانية سناء المحيدلي في منتصف الثمانينات بهجوم استشهادي ضد الاحتلال فأصبحت بطلة قد كتب قصيدته (ورود على ضفائر سناء) في سناء تمجيداً لموقفها البطولي في زمن قلّت فيه البطولة واضمحلتالضمائر العربية تجاه الأحداث الدامية التي داهمت الأمة العربية،وأثناء وصفه لسناء وحواره معها بكل وضوح عن حال العربي وموقفه تجاه ما يحدث قائلاً لها(٥٠٩):

سناء!...

ماذا نقول يا سناء ؟!

أقلامنا تعفّنت من الرياء

لساننا انشق من البكاء

عيوننا الخواءُ يمضغ الخواء

قلوبنا الحجارة الصماء

ماذا نقول يا سناء ؟!

لم يبق ما بين الرجال فارسٌ

فاقبلى...

فارسة النساء

(٥٠٩) ديوان: ورود على ضفائر سناء، غازي القصيبي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط٣، ٢٠٠٦م، ص٨، ٩

تتداخل بعد هذه الأبيات بعض عناصر الطبيعة معه فيستحضر إيّاها وكأنها ماثلةً أمامه تخاطبه وتخاطب مَنْ حوله من الأصحاب بأسلوب فني يختزل كثراً من الدلالات، فيقول[٥١٠]:

وفي الربيع يلتقي العشاق

وتزهر الحقول بالأحلام والأشواق

ويسأل الأصحاب عن سناء

وفجأةً...

تنتفض الورود بالإباء

تقولُ: "صارت وردة سناء"

وفجأةً..

تنفجر الكروم بالغناء

تقول: "صارت نجمة سناء"

وفي المساء

تهمس النجوم في السماء

تقول: "صارت نجمة سناء"

وفجأة تشتعل الأفاق بالنداء:

سناء!...

يا سناء!...

يا سناء!...

(٥١٠) ديوان: ورود على ضفائر سناء، غازي القصيبي، ص١٠، ١١.

فالورود تنتفض فجأةً أمام الجميع وتعلن للحاضرين وغيرهم بأن سناء صارت وردة، وفي لحظة أخرى وأمام الجمع أيضاً تنفجر الكروم بالغناء قائلة: بأن سناء صارت كرمةً، وتهمس النجوم في المساء قائلة: صارت نجمة سناء، ثم تشتعل الآفاق بمناداة سناء، وهذا دليلٌ على ما قامت به سناء من موقف بطولي جعلت كل ما حولها من بشرٍ وعناصر طبيعية تتغنّى باسمها وتجعله رمزاً للصحوة في زمن اختفت فيه مبادئ الصحوة وتحجّبت فيه الرجال وكممت أفواهها عن قول الحقيقة والوقوف ضد كل عدوان.

وفي حواره يستخدم من عناصر الطبيعة (القمر- البدر) ليجعل منه معادلاً موضوعياً للتعبير عن الحزن والكآبة، فها هو القصيبي في قصيدته (بدر الرياض) يقول[٥١١]:

ولاح لي بدر الرياض شاحباً

عيونهُ مناجمُ الدموعْ
ووجههُ خارطةُ الكدرْ

قلتُ له، كعادتي:
«أهلاً وسهلاً...

بالنديم في السَّفَرْ"

قلتُ له، كعادتي:

"يا مرحبا.. بزينة الآفاق

يا مرحبا.. بزورق الأشواق"

لكنه أشاح عنّي واجماً

(٥١١) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي،ص١٩، ٢٠، ٢١

وضنَّ بالسلامْ

وضنّ بالكلامْ

قلتُ له:

"ماذا دهاك يا قمر؟!

نسيتنى؟!

أنـا صديـقك القديم .. يا قمر"

أجابنى بدر الرياض غاضباً:

"أما ترى الجراح.. والصغار الميّتين..

والدخان.. والشرر؟!

قل لى: وأنت واحدٌ من البشر:

أهكذا فعلُ البشر؟!

"عفوك يا بدر الرياض

من قال أنـهم بشر؟

عقولـهم من الحجر...

فالخطاب الشعري عند الشاعر في هذه الحوارية يتراوح بين المتكلم (الشاعر) والمخاطب (القمر)، إذ يكثر الشاعر من استعماله لضمائر المتكلم؛ وذلك لأنه يريد أن يبث همومه وأحزانه لمن يحاوره لكن من يحاوره أيضاً يعيش غربةً خاصة فهو شاحبٌ متشائمٌ وحزين مما يفعله البشر أو يحدثونه خارج المألوف كالنفاق والقتل والتدمير والجوع وغير ذلك، والأبيات بما تتمتع به من سياقٍ حواري تفصح عن شعور الذات الشاعرة بالغربة، الغربة عن العالم وانعزاله عن الآخرين إذ تتحول القصيدة برمتها إلى (الأنا) في شكل

حوار داخلي أو مناجاة مما تعطي لضمير المتكلم فرصة الحضور المسيطر على القصيدة إذ نستطيع في نهاية القصيدة الحوارية الكشف عن نفسية الشاعر المكتظة بالأحزان؛ وذلك من خلال عودته وحيداً للسهربعد أن سمع تنهيد البدروره يغيبفي سحابة الأحزان؛بسبب سماعه وصف الشاعر للمجتمع الذي فقد معنى الإنسانية فلا يعي شيئاً لما حوله بأوصاف تنبئ عن وضع متردٍ يأكل القوي الضعيف فلا رحمة فيهم، فهم منقادون لقوىً لا يعلمون أين هي يتدمرون وينتحرون وتظل تلك القوى هي المسيطرة على الوضع دون أن يحدث لها شيئٌ.

ونجده في قصيدة (أكانت؟) يبدأها بـ (وكان المطر) وكأن الشاعر عمدَ إلى مثل هذه البداية ليجعل للمتلقي مساحة يجول فيها باحثاً عمّا يريد أن يوصله الشاعر للمتلقي ولمن حوله، فهو فيما يبدو يتحدث عن ليلة سعيدة رأى فيها ذاته وشعر بالسعادة تغمر قلبه، مما جعله يتذكر تلك الليلة لعله يجد فيها ما يخفف من حدّة آلامه وأحزانه؛ فما كان منه إلّا أن يستحضر في نهاية القصيدة عنصراً من عناصر الطبيعة الجامدة وهو (السرير) ليصور ما دار بينهما من حوار بإيجازٍ شديد قائلاً[٥١٢]:

وكنت أسائل همس السرير؟!

أكانت سوى ليلة ثائرة

طوت شاعراً وطوت عابرة"

يكتفي الشاعر بالصيغة (أسائل همس السرير) التي توحي بوجود حوار بينه وبين السرير، وبسؤاله للسرير: أكانت سوى ليلة ثائرة طوت شاعراً

(٥١٢) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٣٢٢

وطوت عابرة؟ منهياً قصيدته بهذا التساؤل من دون أن يأتي بإجابة الطرف الآخر للسؤال؛ فلم يتوسع مكاناً في سياق القصيدة بإيراد الحوار؛ وذلك ليترك المجال مفتوحاً للقارئ ليشاركه دلالات النص وإيحاءاته وليصل إلى ما يريد الوصول إليه من دون تقييد للمعنى والدلالة.

وفي قصيدته (وتعطين كالبحر)، نراه يستحضر البحر ليجعل منه معادلاً موضوعياً في التعبير عن علاقته بالمرأة وعطائها السخي، إذ يقول(٥١٣):

وتعطين كالبحر... يا بحر حسبي!

يا بحر رحماك! يا بحر لا أستطيع

السباحة فوق الرحيق

وتحت الرحيق

فنداءُ الشاعر للبحر يفيد التلطف والتودد، ويعكس مدى صلته الوطيدة بالمرأة فهي أمٌ حنونه، وزوجةٌ حانية، وبنتٌ مدللة، وأختٌ رؤوفة، هي بحرٌ من العطاء لا يقاوم، وينبوع حبّ وفيض مشاعر.

ويستمع للبحر مستخدماً جملة القول:(قال لي البحر)، التي من خلالها أورد جملة من القيم والمبادئ الإنسانية الحقة كالمساواة والوفاء والوئام والعدل والحرية، وذلك حيث يقول في قصيدته (حديث مع البحر)(٥١٤):

قال لي البحر: يوم كنت صبيّاً

كانت الأرض رقعة من وئام

والسماوات زرقة من صفاءِ

---

(٥١٣) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٦٦٠

(٥١٤)ديوان عقد من الحجارة، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٤٣

كان وجهى طفلاً.. وقلبى طفلاً

وبروحى بساطة الأبرياءِ

لم تغلغل غواصه فى عروقى

أو تعربد طيارة فى فضائى

كان مائى يؤوى الدلافين حجراً

من حنان ..ومخدعاً من وفاءِ

قال لى البحر يوم كنت صبياً:

"كنتُ أحيا توالد الأشياءِ"

إن عنوان القصيدة ذاته يوحي إلى حوار ومناجاة بين الشاعر والبحر، إذ إنه في هذه القصيدة يعود بالمتلقي إلى زمن الصبا، الزمن الجميل الذي كان لا يشوبه منغصاتٍ زمن الوفاء والمساواة وعدم الانقياد وراء ما قد يضر بالأمة والواقع، فهو في حواره هذا مع البحر يجعل من البحر إنساناً يذكره بتلك الأيام الجميلة التي ربما نساها أو تناساها الشاعر نتيجة لما مرّ به من غربة نفسية وواقع مؤلم، ولعل الشاعر بهذه الحوارية يريد أن يجعل من البحر معادلاً موضوعياً لذاته التي تشعر بالمسؤولية تجاه الآخرين، الذات الطامحة للتغيير نحو الأفضل وتطهير الواقع منغصات الحياة كالظلم والفقر وغير ذلك.

وفي قصيدة (العودة إلى الأماكن القديمة) نراه يرسل زفرات وآهات للبحر، ليخبره عن مدى شوقه وولهه إلى الماضي الجميل، قائلا(٥١٥):

آه يا بحر ! أنت فى قاع وأنا فيك سندبادٌ سجينُ

(٥١٥) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٦٨٥

إنه في هذا البيت يكشف عن قيود تكبل حياته، وتكدّر عيشه، فهو سندباد لكنه سجين في البحر.

المطلب الثالث: الحوار مع المكان

للمكان في الشعر دورٌ بارزٌ في تشكيل دلالات النص الأدبي فهو "يحمل فضاءات نفسية، وتتشكل حوله عوالم جديدة غير التي ألفت في الواقع"(٥١٦)، ولذا فهناك علامة وطيدة بين الشعراء والأماكن منذ العصر الجاهلي وحتى اليوم، فالشعراء وقفوا على الديار والدّمن والآثار وخاطبوها علّهم يجدوا جوابا يخفف من آلامهم، "فالعلاقة التي تربط الشاعر بالمكان هي الذكريات والتأملات، وعندما يشعر بأنّ هناك فاصلاً يفصله عن المكان يبدأ يتوسل به ويناجيه؛ لأن ليس من السهل عليه أن يتخلّى عن هذا المكان الذي يعني له أشياء كثيرة جداً"(٥١٧).

يقف القصيبي مندهشاً أمام جمال منطقة عسير (أبها) وطبيعتها الخلابة وجبالها الشاهقة فيتغنّى بها مشخصاً إيّاها في صورة عروس قريبة إلى قلبه، فيخاطبها بأداة النداء (يا) للدلالة على هذا القرب النفسي والمعنوي والعلاقة الحميمة بين الشاعر والمكان مما يجعله يكتسب قيمة إنسانية بفعل النداء،وذلك في قوله(٥١٨):

يا عروس الربى الحبيبة — أنت أحلى من الخيال
كلما حرّك النفوس جمالٌ — كنت أزكى شذى.. وأنضر

(٥١٦)شعرية المكان في أعمال القصيبي الشعرية. عبدالله بن محمد القرني، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: ٤، العدد:٥، ٢٠١٥م، ص٣٥٩.
(٥١٧) جماليات الأسلوب والتلقي،موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ط١، أربد، ٢٠٠٠م، ص٦٤
(٥١٨) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٥٥٤، ٥٥٥

وإذا ما ارتمى على الجفن كنتِ فى حلمنا أرق وأشهى

يا عروس الربى الحبيبة فنون... وجدت عشقك

فالحوار بين الشاعر ومدينة أبها يبرز من خلال استخدامه لأسلوب النداء، ذلك الأسلوب الذي يجسد رؤية فنية ونظرة متميزة نحو المدينة وجمالها،والذي يتغيّا الشاعر به الإفصاحَ عن حبه وعشقه المفتون لتلك المدينة، فمنحها بعض صفات الإنسان وطباعه حين خاطبها بلفظ (عروس الربى) تلك العروس الجميلة التي تزيّنت بأبهى الحلل ففاقت بجمالها المفتون الخيال مما جعل القصيبي يقف أمامها وقفة شدو وإعجاب فيحاورها بلغة الشعر وبأسلوب الحوار الذي يقدم من خلاله الحدث والحركة ويساعد على كشف غوامض النص وإشكالياته الخفية؛وليجعل بذلك -أيضاً- النص الشعريأكثر تشويقاً وحيوية وإقناعاً للقارئ أو المستمع.

ويقف القصيبي مع المكان (السجن) الذي عادة ما يكون موحشاً، فيغير دلالاته من خلال حواره معه وعشقه لأيامه، وذلك في قصيدته (الموت حبّا) إذ يقول(٥١٩):

أعدّ فى السجن أيامى.. يا سجن! هل ثَمَّ قبلى

أضيقُ بالقيد.. لكنى أقبله وربّ قيدِ على عبدِ بكى..

واليوم جاء الخريف الفظ "متى رحيلك؟ كم تنوى

عشقُ الشاعر لأيامه دليلٌ على سر بهجتها في قلبه لانعزاله عن العالم على الرغم من قساوة السجن وما فيه من غربة عن مّن يحب، فمن الطبيعي أن لا أحدٌ في السجن يشعر بالراحة، لكن الشاعر هنا يعشق تلك الأيام، ولهذا فإنه

(٥١٩) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٨٠١

يعقد حواراً مع السجن فيحاوره مستخدماً صيغة النداء التي تشخصن السجن وتجعل منه شخصية تسمع وتجيب، ثم يوجه إليه سؤالاً: هل ثمَّ قبلي عاشقٌ سُجنا؟ لكن الشاعر فيما يبدو لا يريد من السجن جواباً بقدر ما يريد أن يجعل من السجن معادلاً موضوعياً لأفكاره وعواطفه ورؤاه المقيدة. ثم يأتي لفظ(الخريف) الموصوف ب (الفظ) ليتدخل في الحوار فيسأل الشاعر: متى رحيلك من هذا السجن؟ وكم تنوي البقاء هنا؟ وكأن هذه الصيغ الاستفهامية الحوارية الموجهة للشاعر توحي بأن الشاعر قد اختار السجن من تلقاء نفسه من دون تدخل طرف أخر قاده للسجن.

وللموت أثرٌ كبير في نفسية القصيبي فهو الشاعر الراثي ذاته وأقربائه وكل محبيه بل ويرثي الواقع العربي عامة من خلال متابعته لما يدور في الوطن العربي عامة، والمملكة خاصة، فها هو يكتب بدموع الحزن والألم والحسرة قصيدته (الموت وجلاجل)؛ وذلك إثرُ انهيار مدرسة للبنات في منطقة جلاجل أدّى إلى موت عددٍ من الطالبات، مستخدماً تقنية الحوار بواسطة أسلوبي النداء والاستفهام، معاتباً تلك المدينة ومحاولا استنطاقه لكي يبين له عمّا فعله مع الموت والفتيات، قائلاً[٥٢٠]:

بسط الموت يا جلاجل فماذا أعطيته يا جلاجل؟!
كل هذه الزهور؟ ما أفجع صريعاً على نيوب
كل هذا العبير من طيب ومن خفقة الصبا فى
بسط الموت يا جلاجل فكان العطاء من غير باخل

(٥٢٠) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٥٨٩

يتكئُ الشاعر في بنية هذه الأبيات الشعرية على أسلوب الحوار مع المكان (جلاجل)؛ فلم يكن الحوار قسرياً على النص خالياً من أي دلالة، بل على العكس من ذلك إذ يضفي جمالية على النص الشعري في تأكيد الدلالات المبثوثة داخل النص، وذلك من خلال شخصنه المكانوتشبيهه بإنسانٍ ماثلاً أمامه يستمع لما يُقال له، فيعاتبه بصيغة الاستفهام في إنكاره للواقعة وتعجبه منها، لكنه لا يريد جواباً بقدر ما يريد أن يفصح عن آهاته وحسراته على وفاة تلك الزهور التي لا ذنب لهنّ، فيثير جملة من التساؤلات التييسعى إلى الكشف عنهاوالمتعلقة بالواقع المعيش الذي تكشفه بنية النص الشعري، ولذا فالحوار هنا شكّل ظاهرةً تستوقف القارئ ليكشف عن أغوار النص وجمالياته الفنية.

وما زاد من جمالية الحوار تكرار الشاعر للمكان (جلاجل) ثلاث مرات، وهذا التكرار لم يأت تعسّفا في بنية النص الشعري، وإنما جاء لكونه البؤرة الرئيسة والطرف الآخر المهم في الحوار، هذا فضلاً عما يؤديه التكرار في بنية النص الشعري من قوة في المعنى وجرسٍ فيالإيقاع.

وفي قصيدة (العودة إلى الأماكن القديمة) يتساءل عن ماضيه وأيام طفولته وصباه، وشوقه لأحبابه وخلانه، وللأماكن إذ نراه يخاطب الحيّ الذي ربما قد يكون عاش فيه دون أن يصرحباسمه، قائلا(٥٢١):

أيها الحيّ! غيرتنا الليالى　　　فكلانا بعد النقاء هجينُ

أيها الحيّ! إن عتبتُ فقل　　　"داس قلبى وداسك

في هذا البيت وفي نداءه للحي يريد الشاعر أن يلفت انتباه المتلقي أو السامع إلى الأيام الجميلة إلى الماضي الذي ترعرع فيه ونشأ مع خلانه

(٥٢١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٦٨٧

وأصدقائه من دون تباغض وتحاسد وغير ذلك، وإلى الحاضر الذي أصبح الفرد فيه لا يعرف ربما جاره أو يزور خليله، إنه حين يخاطب الحي ويجعل الليالي هي التي غيرت المجتمع فجعلته يعيش حالة انطواء عن الآخرين، يطلب من الحي إن كان له عتاباً عليه بأن يقول للشاعر: (داس قلبي وداسك التمدينُ) وهو بهذا التركيبي اللغوي يلمح إلى تغيير النفوس وتغيير البيئة فالتمدن وإن كان من أساليب الرقي إلّا أنه قد يشكل عاملا انطواء لبعض أفراد المجتمع فيشغلهم عن الاهتمام بالماضي وأيامه الجميلة،ولذا فهو يختتم القصيدة بخطابه للمجتمع عن شبابه الذي كان جميلاً، قائلاً[٥٢٢]:

أيها الناس! هل رأيتم كان أحلى مما تظن الظنونُ

ويخاطب القبر والبلاد(ويا بلاداً)[٥٢٣] والوطن (يا وطني- يا بلادي) وحائل، وجبيل ومدينته (مدينتي)وبيروت والبحرين[٥٢٤] مستخدما أسلوب النداء لدلالة على قرب الأمكنة من نفسه، وجامعة الملك سعود واصفاً إيّاها في مخاطبتها بـ (بنت الرياض)[٥٢٥]، وذلك لما أثر عظيم في شخصيته العلمية فقد نهل واعتلك من معينها العذب وعمل فيها أستاذا يوجه ويرشد ويشارك زملاءه في كل ما من شأنه الارتقاء بالعمل الأكاديمي. فمثل هذا الحوار للأماكن يعكس الذات الشاعرة ومدى تفاعلها مع المكان حبّا وشوقا وحنينا لها وإن كانت لا تجيبه فهو لا يريدجواباً بقدر ما يريد استثارة مشاعره والمتلقي معاً.

الخاتمة

(٥٢٢) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٦٨٩
(٥٢٣) ينظر: ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص١٦، ٢٨
(٥٢٤) ينظر: المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص١٥، ٥١٤، ٥١٨، ٦٩٧، ٧٧٣، ٧٩٠، ٨٠٧
(٥٢٥) ينظر: المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، ص٧١٩

لقد اتسم شعر غازي القصيبي بالروح الفردية والجماعية في آنٍ واحد في حواراته التي جاءت بكثافة في بنية نصوصه الشعرية فشكّلت لبنة أساسية من اللبنات التي يتكون منها النص الشعري؛ وبسبب ذلك فإن القارئ لشعره لا يشعر بالرتابة والملل. فقد استخدم مجريات حواره مع الأهل والأحبة والأصدقاء والمرأة المحبوبة وبعض مظاهر الطبيعة والمكان بتقنيات فنية لغوية مختلفة جاعلاً من تلك الحوارات معادلاً موضوعياً لحالته النفسية وسجلاً حافلا لتجسيد صراعات فكرية وعقليةخالقاً أجواء درامية بقصائد ذات بنية حوارية من أولها إلى أخرها رمز من خلالها إلى الواقع العربي وقضاياه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك.

المصادر والمراجع.

١) الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي. السيد أحمد عمارة، طنطا، ط١، ١٩٩٣م.
٢) الرحلة الثامنة- دراسات نقدية. جبرا إبراهيم جبرا، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، ١٩٦٧م.
٣) الحوار في شعر البردوني، نوفل حمد الجبوري، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ٢٠١١م.
٤) الحوار في القصة العراقية القصيرة، فاتح عبدالسلام(رسالة دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠م.
٥) الحوار سمة فنية في شعر على بن الجهم. سالم محمد ذنون، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد: ١٢، العدد: ١، ٢٠٠٥م.
٦) قضايا الأدب العربي، عمر بن سالم وآخرون، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د.ط، ١٩٧٨م.
٧) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي عبدالرحمن القصيبي، مطبوعات تهامة، جدة، ط٢، ١٩٨٧م.
٨) ديوان أمرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٥، القاهرة، د.ت.

٩) ديوان حديقة الغروب، غازي عبدالرحمن القصيبي، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠٧م.
١٠) القصة السيكولوجية- دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة، ليون أيدل، ترجمة: محمود السمرة، منشورات المكتبة الأهلية، د.ط، بيروت، د.ت.
١١) حميمية الموت في شعر الرثاء عند غازي القصيبي، هيلة بنت عبدالله عثمان، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، المجلد التاسع، العدد: (١)، أكتوبر ٢٠١٥م.
١٢) ديوان: ورود على ضفائر سناء، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط٣، ٢٠٠٦م.
١٣) ديوان عقد من الحجارة، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٤) شعرية المكان في أعمال القصيبي الشعرية. عبدالله بن محمد القرني، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: ٤، العدد:٥، ٢٠١٥م.
١٥) جماليات الأسلوب والتلقي، موسى ربابعة،مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، ط١، أربد، ٢٠٠٠م.

Dialogue in Ghazi al-Qusaibi's poetry

Abstract

This research, entitled: (dialogue in the poetry of Ghazi Algosaibi) to reveal the ideas of the poet and personality that they are talking about whether the personality of the poet itself or the personality of the other and their concerns and psychological vacancy inherent in the poetic text, because of its special importance in poetry because it carries a lot of indications and aesthetics Which may not be so abundant in poetry. Moreover, it is a stylistic phenomenon that contributes to the strengthening of the structure of text and the cohesion of its parts, and enhances its semantic levels in a complex, rhythm and signification, relying on the descriptive analytical approach and the topics of dialogue to be addressed The study and analysis are:

-Dialogue with man: (dialogue poet with himself and the dialogue of the poet with the other).

-Dialogue with things of rigid nature.

-Dialogue with the place.

The research concluded that the poetry of Ghazi al-Gosaibi was characterized by the spirit of individual and collective at the same time in his dialogues, which came heavily in the structure of his poetry, and because of that the reader of his poetry does not feel monotony and boredom.

-Keywords: Ghazi Algosaibi; Dialogue; Poetry; Method**.**